ثقافة

مع غزّة

وحيد نادر

ترسمون الطريق وعلينا أن نرى وضوحه

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيّام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وما يودّ مشاركته مع القرّاء. «أن نُحاول منْع أنظمتنا عن الاستمرار في تواطئها بالإبادة»، يقول الشاعر والمُترجم السوري المُقيم في ألمانيا لـ«العربي الجديد»

بطاقة

شاعرٌ ومترجم وأستاذ جامعيّ سوريّ من مواليد طرطوس عام 1955، ويُقيم في ألمانيا. يكتب باللّغتين العربيّة والألمانيّة. له في الشعر: «كيف سأُنفق هذا الجوع؟» (1984)، و«الحمدُ للربّ، لم يلد وخلّف لي حبيبي» (2000)، وبالألمانية «نجوم ليل سكران» (2010)، و«احتراق الريحانة» (الغلاف/ 2019).

ماغديبورغ (ألمانيا) ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيّام في ظلّ ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

كانت القضيّة الفلسطينيّة وما زالت اهتماماً يطبع مسارات حياتي وحياة أسرتي بألوان همومه، حتّى بعد انتقالنا للعيش في ألمانيا. ففلسطين هي الجنوب السوريّ، وغزّة جنوب الجنوب وعيناه صوب «أمّ الدنيا» ومصر النيل، وتلك أُحجية الثقافة ولغتها، وذلك تيمّنٌ يبدأ بالحرف ولا ينتهي بقصيدة الدنيا. أمّا غزّة والإبادة الجماعيّة المستمرّة فيها وهذا التهجير، هذا العُنف، الذي لا يستطيعه إلّا مُجرمٌ تاريخاً وفطرة، مُجرم لا علاقة له بتلك البذرة الثقافيّة وحروف خصوبتها، هذا القتل الذي يحدُث أمام عينيك وتكاد ألّا تُصدّق ما ترى، ينتهكُكَ نفسيّاً وجسديّاً ويرميكَ في متاهات عجز مُظلمة، رغم بُعدك عن وطنكَ المُصاب، ورغم حياة تُشبه التَّرف تعيشها في أوروبا. لكنّ أكثر ما يفترس أنفاس المرء ويهتكُ ستر عواطفه، هو هذا الغِياب الكامل لقِيم الإنسان في السياسة العربيّة والعالميّة. وأكثر من هذا الأشدّ إحراجاً وإيلاماً كان وقوفُ شعوبنا العربيّة متفرّجة صامتة، وكأنّني ألمح دموع عيني مظفر النواب وأسمع بكاءه يصرخ في قبره: «أين شهامتكم؟ فالذئبة، حتّى الذئبة، تحرس نطفتها والنملة تعتزّ بثقب الأرض!». إنّ وقوفنا مع الشعب الفلسطينيّ في غزّة لا يعني أبداً، في أيٍّ من أشكاله، تأييد طرف سياسيّ أو عسكريّ معيّن، كما يزعم حاكمٌ عربيّ هُنا أو هناك، بل هو وقوف ضدّ التطهير العِرقيّ ووقفة مع الإنسان في أبسط حقوقه. فالاحتلال الصهيونيّ العنصريّ الهمجيّ لا يقصف الأطفال والنساء بـ«ذكاء» سلاحه الاصطناعي فحسب، بل يقتل كلّ من يُحاول إغاثتهم ويمنع حتّى الغربان من دفنهم في تربتهم.

■ كيف أثّر العدوانُ على حياتك اليوميّة والإبداعيّة؟

صُراخ الضمير، الذي يُلاحقك، يجعلُ عجزَك قبوراً من العجز، هذا إن لم يُشعل غضبك طُرقاً للغضب، فترى الخروج في المُظاهرات والاحتجاج والصُّراخ أشكالاً لا بدّ منها للتعبير، لأنّك لا تملك ضدّ العنف سوى ضميرك وإصرارك على الحريّة. لقد بقي التظاهُر في الشارع أهمّ أشكال الاحتجاج، على الرغم من التضييق على المُظاهرات ومنعها في الكثير من مدن ألمانيا، ورغم اعتقال شرطة برلين لأحد أولادي وكَسْر يده وحرمانه لساعات طويلة من حقّه في الذهاب إلى المستشفى للعلاج، فقط لأنّه خرج إلى الشارع صارخاً «الحرّية لفلسطين». أن ينجو شابٌّ من الاعتقال في مظاهراته ضدّ نظام دمشق ويهرب إلى الحرّية في برلين، ثمّ يُعتقل في هذي الأخيرة ويهدَّد بالفصل من وظيفته إذا لم يتخلَّ عن الشال الفلسطينيّ الذي يُزيّن كتفيه، فتلكَ تمظهُراتٌ متعدّدة لسخرية قدَر عنيف وعلامات مستقبل بشريّ متشائم وحزين. بعد أربعين عاماً في مدينتك الألمانيّة التي تعشق، والتي كتبتَ فيها ولها أجملَ قصائدك، يُرجعك حبّك وتضامنك مع فلسطين إلى غربتك الأولى، يعيدك لتصبح خارج ما اعتدت عليه، فتلغى بعض أمسياتك الأدبيّة وتُتّهم بـ«معاداة الساميّة»، أنت الساميّ المُسالم، بل ويُطلب منك التضامن مع قتلة يحتقرون كلّ قوانين وأعراف الكون. بالتوازي لما سبق سمحت وسائل التواصل الاجتماعي بالتضامن مع فلسطين وغزّة بأشكال ومضامين الحدّ الأدنى فقط. إذ طبّقت علينا، هي الأُخرى، المنع والرَّفض والمُلاحقة والحذف في بعض ما ننشره. هكذا عُمّم الدكتاتور والقمع في النظام العالميّ وفي وسائل إعلام الدول العظمى وسياساتها، دولٌ اعتقدَ الكثير منّا إلى الآن، أنّها تمثّل ما نطمح إليه من الديمقراطيّة وحماية الإنسان وصون حقوقه. لكنّها، وحين تعلّق الأمر بفلسطين وغزّة، راحت كلّها في حلف قوّتها الوحشيّ، تُمسك العصا الغليظة نفسها ومن نفس الطرف الأكثر عنفاً في قتل الإنسان حياةً وضميراً. لكنّ فلسطين المحتلّة، رغم ذلك كلّه، عادت لتأخُذ معناها التاريخيّ الذي احتلّ قلوبنا منذ النكبة، فلم يعُد العالَم الآن، فينا وفي خارجنا، كما كان قبل حرب الإبادة الأخيرة.

■ إلى أي درجة تشعر أن العمل الإبداعيّ ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيونيّ في فلسطين اليوم؟

لقد لاحَق التحالف العالميّ الباغي كلّ محاولات التضامن مع فلسطين، وحاول خنْق تلك المحاولات وكبْتَها على كلّ المستويات الماديّة والفكريّة والعاطفيّة، لاحَق كلّ كتابة مُبدعة تقف مع فلسطين وحاول الوصول بوسائل عُنفه إلى كلّ المضامين التي تُنادي بوقف المقتلة والنفاذ بوسائل أمنه إلى المساهمات المرئيّة والمكتوبة والمرسومة والمغنّاة، التي نصرت أطفال غزّة ونساءها، وحاول التضييق عليها، فراح المتضامنون مع فلسطين يستخدمون الرمز أو الإيحاء أو الشعر والأدب والمجاز في إبداعاتهم الرافضة لتلك الإبادة. فالإبداع خصم الدكتاتور وعدوّ القتل وداعم أكيد وأبديّ لإنسانيّة الإنسان. كما قلتُ سابقاً، لا ضمير في السياسة العالميّة، وكما كتبت لابني ناصحاً، قبل خروجه في تلك المظاهرة التي اعتُقل فيها: «كن حذراً، فالديمقراطية الألمانيّة تُكشّر عن أنياب حادّة جدّاً، حين يتعلّق الأمر بإسرائيل وحكومتها اليمينيّة المُتطرّفة!». رغم ذلك أقول، علينا المُثابرة في محاولات إيقاظ ضمير هذا العالَم، وضمير شعوبنا العربيّة في المقدّمة، فقد كانت ممارسات أنظمتنا العربيّة الأسوأ على الإطلاق في تفاعلها مع الأحداث، بل كانت السكّين الأكثر حدّة في أيدي مشروع القتل الصهيونيّ. لا بد من الكتابة الإبداعيّة، في الحرب والسِّلم، بشرط ألّا تكون تلك الكتابة ردّ فعل مباشرا لا يملك من العقل سوى غضبه ومن العاطفة سوى انفجارها وكأنّنا أمام فقاعة صابون. فالكتابة لا تخدم الحقّ وحقوق الإنسان والمظلومين إلّا حين تُبرز الجوهر الإنساني وتُبدع في إيصاله. وبالتالي لا بدّ من الانتظار أحياناً من أجل استيعابٍ عميق للموقف والكتابة عنه، ذلك كي يبقى ويؤثّر طويلاً.

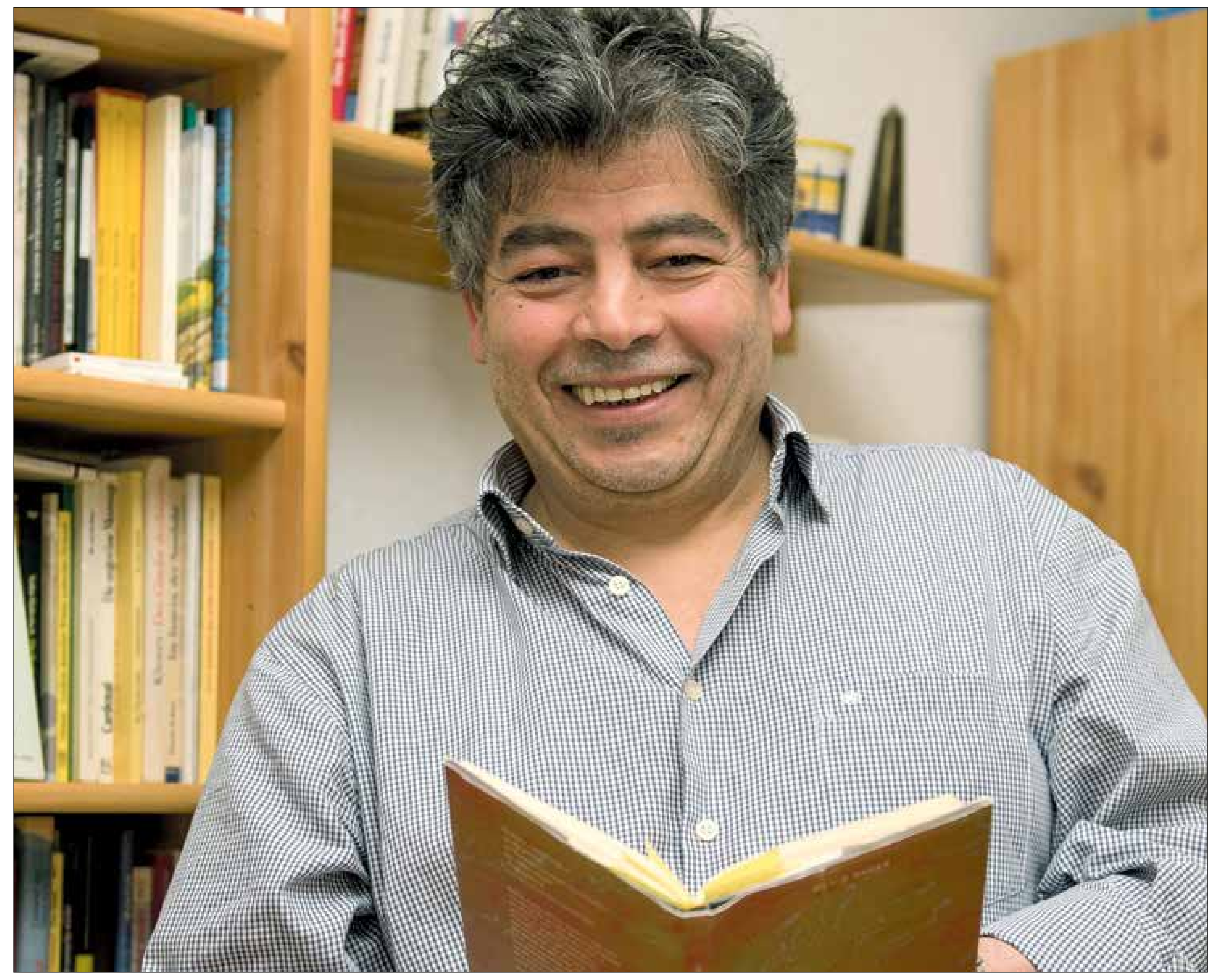
وحيد نادر

■ لو قيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعيّ أم مجالاً آخر، كالعمل السياسيّ أو النضاليّ أو الإنسانيّ؟

الكتابة فطرة وقدر، لا تستطيع الهروب منها، فهي تلحق بك، مهما حاولت مراوغتها والابتعاد عنها في دروب الحياة الأُخرى. فقد شاءت الظروف العائليّة أن أكون مهندساً في مصنع وأستاذاً في جامعة، وصرت كما أرادت تلك الظروف، لكنّي لم أستطع الابتعاد عن الأدب وترك كتابته. كانت القصيدة مرَضي، الذي لم أُشفَ منه ولا أُريد أن أُشفى منه أيضاً، ما دمتُ حيّاً. لاحقتني القصيدة حتّى في لُغة أجنبيّة تعلّمتها بدايات الثلاثين من عمري، ورحتُ أكتبُها وأبكيها في غُربة أخذت إلى اليوم أكثر من نصف ذلك العمر. لقد سُمح لي قبل سنوات كثيرة أن أكون عضواً في «اتحاد الكتّاب الألمان»، كما ساعدتني المؤسّسة الثقافيّة في ولايتي على إصدار كتابين شعريّين باللغة الألمانيّة وفي إنجاز الكثير من الترجمات الألمانيّة لكُتّاب عرب ونشرها. أمّا السياسة فلا علاقة مباشرة لي بها حاليّاً، إلاّ بما تعنيه في وجهها الأخلاقيّ، إنّ صحّ التعبير، أي من الناحية التي تخلو منها السياسة عادة. فأنا أميل لرجل سياسة يعتبر «السياسة عملاً شريفاً»، وإلى مفكّر يعتبر الإبداع سياسة ضروريّة في الحياة الإنسانيّة اليوميّة. أمّا الممارسة السياسيّة، التي قد تُخرّب الإنسان في الأديب وأدبه، فلا أحتاجها، لأنّها تأخذ الضمير والفطرة معها إلى ضدّيهما. يُمكن لأديب أن يحتلّ منصباً سياسيّاً، لكنّي أعتقد أنّ الكاتب خُلِق ليكتب، لا ليُصبح رئيس حزب أو ليكون قائداً سياسيّاً. فنحن نتذكّر ونحبّ ونتابع ونحترم كتّاب أميركا اللاتينيّة الكبار، لكنّنا لا نعرف أسماء سياسيّيها. المُبدع وفعلُه الإبداعيّ أكبر من السياسيّ وفعله، وما يكتبه المبدعون أهمّ للإنسانيّة وثقافاتها وتطوّرها وتثمين قيم حضاراتها ممّا يفعله السياسيّ، رغم أهميّته وآنيته أحياناً. فقد اضطهدَ سياسيون وكتّاب، حين مثّلوا قيماً فكريّة إنسانيّة عالية، وكان المضطهد براغماتيّاً، كان مُجرماً أراد «قتل مستقبل» الإنسان فينا جميعاً، كما عبّر أحد الشعراء بحقّ. هذه الطريقة في الاضطهاد والقتل مارسها الصهاينة أيضاً وهم يمارسونها الآن ضدّ الإنسان والمفكّر في فلسطين والمنطقة العربيّة والعالم أحياناً، إذا ما شعروا بخطورة ذلك الفكر وصاحبه على عنصريّتهم.

> الإبداع خَصْم الدكتاتور والقاتل وداعم أبديّ للإنسانيّة

> أرجعنا التضامن مع فلسطين من ألمانيا إلى غُربتنا الأولى

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

لا أنتظر الكثير، فقد كان العالَم ومازال هو، هذا البراغماتيّ المحارب، يتكلّم لغة القوّة والسلاح والمعركة، وبقيت تلك اللّغة، على مرّ التاريخ، اللّسان الأكثر وضوحاً في سياسات الدول والامبراطوريّات. فشهرزاد لا تحكُم العالَم، بل يحكمه قاتلُها. أنا أخاف أن يستمرّ هذا المنطق إلى أبد الآبدين، فالبشريّة لم تتعلّم، كما يبدو، من تجاربها المُؤلمة. ماذا تنتظر من ديمقراطيّات أوروبيّة تحضّ على القتل وتُسلّح القاتل بأفظع ابتكارات العقل البشريّ من طائرات وقنابل عنقوديّة. ولماذا يفعلون ذلك؟ من أجل زيادة صادراتهم من السلاح وتجريبه في ذبح وتهجير شعب أعزل. ملايين من البشر وضعوها مُحاصرة تعيش موتها، منذ زمن طويل، في غزّة بمساحتها الصغيرة، «غيتو» القرن الواحد والعشرين، «غيتو» يشبّهه بعض الكتّاب بأحياء يهود وارسو المعزولة أثناء الحرب العالميّة الثانية. لقد راح المُجرمون في حرب إبادتهم الجماعيّة على غزّة يُطلقون نعت الغبيّة على قنابلهم وصواريخهم، رغم «ذكائهم» الهمجيّ و«ذكائها» الاصطناعي، فقط لكي يهدموا بكلّ هذا الغباء الذكيّ منازل وقرى وشوارع وبيوت آلهة ويسقطوا أقمار غزّة، لكي يقتلوا نساءها ويشرّدوا أطفالها ويقبروهم في أنقاض بيوتهم. راحوا ينعتون الفلسطينيّين بكلمات تُزيل صفة الإنسانيّة عنهم، كي يستطيعوا تحويل الإنسان والحجر هناك إلى أنقاض منسيّة، ووصلت جرائمهم ضدّ الإنسانيّة إلى قصف عُمّال الإغاثة الدوليّة في غزّة قبل أيّام قليلة.

النص الكامل على الموقع الالكتروني

معرض

لوحاتٌ تلمّ شمل البلاد في مواجهة العدوان

تَكاتُف من بيت لحم إلى غزّة

يُشارك في المعرض المُقام حالياً بـ«جامعة الكلمة» 24 من طلبة الماجستير فيها، وتُمثّل أعمالهم تحيّة إلى غزّة وتضامناً معها بوجه الإبادة

عمل لـ وائل أبو يابس (من المعرض)

بيت لحم ـ **العربي الجديد**

«تكاتُف» عنوان المعرض الجماعي الذي يُوقّعه أربعة وعشرون طالباً وطالبة يُتابعون درجة الماجستير في «جامعة الكلمة» ببيت لحم؛ والذي انطلق في الخامس من نيسان/ إبريل الجاري، ويستمرّ حتى الخامس من أيار/ مايو المُقبل، ليكون بمثابة تعبير قوي عن التضامن مع غزّة، حيث تُوثّق الأعمال المُشاركة اللحظة الراهنة التي يشهدها العالَم بما فيها من قتل وتهجير وتخريب عمرانيّ وإبادة صهيونية.

يضمّ المعرض قرابة خمسين عملاً، أُنتجت جميعُها في فترات مُتقاربة كردّ فعل تشكيلي على ما يجري، فاعتبرت الطالبةَ لمى دويك، خلال حديثها إلى «العربي الجديد»، «أنّ لكلّ منّا طريقته الخاصة بالتكاتُف، ونحن كفنّانين، سخّرنا جهودنا بالطريقة التي نُجيدها ونُبدع فيها، ليكون نتاجُنا هذا المعرض الذي نُعبّر فيه عن مشاعرنا». وتُشارك دويك بعمل عنوانُه «أعطونا السلام»، تُصوِّرُ فيه نظرةَ طفلٍ أُنقِذ من تحت الأنقاض في غزّة، نظرة عتاب وحزنٍ وخوفٍ وحيرة، بينما تحت رقبته مباشَرةً غصن زيتون مُذهَّب، في إشارةٍ إلى الأمل الذي لا يموت والكرامة التي تبقى لامعة رغم دمار القصف.

أما غاوي خليل، فيُشارك في المعرض بمُلصَقين، يصفُ أحدُهما بأنّه رسالة إلى العالَم، يُخبره من خلاله بأنّ في غزّة أطفالاً يجب أن يعيشوا حياتهم كأطفالكم، ويجب أن يركضوا على شاطئها بالطائرات الورقية، وليس هرباً من الطائرات الصهيونيّة التي تقصفهم. والآخر هو بالرمز الذي خلقته المُقاومة في غزّة، فرغم كلّ ترسانة الأسلحة الصهيونيّة، إلّا أنّها ظلّت عاجزة أمام بسالة المُقاومين وصمودهم.

وفي حديثه إلى «العربي الجديد»، يقول خليل: «إنَّ المعرض جاء نتيجة تكاتُف نُخبة من طلبَة الفنون الفلسطينيّين، من خلال القلم والريشة والأدوات البسيطة، للتعبير عن الصمود الأسطوريّ في غزّة، ولنعكس جزءاً بسيطاً من الأحداث والمعاناة والحرب والإبادة. فمن خلال المعرض استطعنا، ولو بالشيء البسيط، أن نقف وقفة بسيطة بأدواتنا كفنّانين إلى جانب أهلنا وصمودهم». ويُتابع: «نعمل على إطلاق موقع إلكترونيّ يحمل نفس الاسم ‹تكاتُف›، يضمّ مشاركات جميع طلبة الماجستير في المعرض، ومن خلاله نستطيع أن نستمرّ في العمل الدائم للوقوف عبر الفنّ مع أهلنا بغزّة، والأهمّ بأن نخترق جدار الفصل العنصري المُحيط بأرضنا ونصل إلى العالَم أجمع». ويُضيف: «لن نقف عند هذا المعرض فقط، والعمل الثقافي من أجل غزّة سيستمرّ بشتّى الطرق، والمساحة الفنّية مفتوحة أمام كل فنّان لديه الأثر الجميل؛ ليروي القصّة بأسلوبه».

بالانتقال إلى أعمال المعرض الأُخرى، تُصادفنا لوحة «ألفة الانتظار»، لسارة ياسين، والتي تتناول فيها الجانب الخلفي من حياة الغزّيّين، فإن لم يكن هنالك قصفٌ أو قتل، فهناك مدنيّون يجتمعون في الطوابير بغية الحصول على ماء الشرب، حيث يقضي المُهجَّرون أغلب أوقاتهم بلا ماءٍ أو طعام، وكأنّ الانتظار في الطوابير، بلَغ مبلَغه من الاعتياد ولا بديل عنه.

> محاولاتٌ تشكيلية تصوّر معاناة غزّة في ظلّ الوحشية الصهيونية

ولأنّ للأطفال نصيبهم من العُدوان، فإنّ لوحة الفنّان محمود حامد تُصوِّرُ مجموعة أطفال نائمين بجانب بعضهم، من دون أن يُشيرَ إلى وجود رصاصة أو قاتل أو قذيفة. تُفصح اللوحة عن نفسها باللحظة التي يقف أمامها الرائي، ويعرف بالسرعة المُمكنة، أنّ الأجساد غير المنتظمة في تمدّدها، ونظرتها الفزعة، هي أجسادٌ طاولتها يدُ الاحتلال القاتل.

أما وائل أبو يابس، ورغم بشاعة الإبادة، فهو يستجمعُ في لحظته الوطن المجروح، من خلال المرأة الفلسطينيّة التي ترتقُ عَلَم البلاد من جهته الحمراء، وربما لهذا الموضع دلالةٌ يُمكن أن يأخذنا إلى التسجيلات التي تبثّها المقاومة لحظةَ استهداف آليات وجنود العدوّ، حيث يظهر المثلّث الأحمر لثوانٍ ليدلَّ على موضع الهدف.

الجديرُ بالذكر أنّ الفنّان منذر جوابرة من أبرز المُشاركين في المعرض، بالإضافة إلى: أفياء النواصرة، ومعتز حجير، وأكرم دويك، وبشار خلف، والياس حلبي، وحمادة مداح، وجاد عزّت، وجاسم شومان، ومجد أبو هيكل، ومريم عوادة، وسامية مصري، وسارة ياسين، وسارة أبو ماضي، وشادي الحريم، وراني شرباتي، وسكينة صلاح الدين، وولاء جبران، وشيماء عواودة، ومنجد خاروفة.

صوت جديد

طريقة لإضافة طوبة إلى «حائط المعرفة»

عزّة طويل

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

مونتريال ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزة؟

تشغلني عشرات الهواجس وليس هاجساً واحداً. الأطفال والأمّهات والآباء الفلسطينيّون، وقدرتي المحدودة على المساعدة، ورياء هذا العالَم بما في ذلك المُنظّمات، والوضع في الجنوب وفي لبنان ككلّ وطبعاً الخوف على أهلي، وشعورٌ بالحيرة والتردّد وحتى الذّنْب تجاه أي دعايةٍ لعملي الأدبي في ظلّ الوضع بغزّة، وهُناك أيضاً هاجسٌ لا يُفارقني: كيف يُمكن لبعض الأطراف ألّا ترى الإبادة التي تحدُث في غزّة؟

■ كيف تفهمين الكتابة الجديدة؟

الكتابة الجديدة هي الكتابة التي تخترق المألوف وتتمكّن من الابتكار. لا أجد أنّ الأمر مرتبطٌ بالتكنولوجيا بالضرورة، إذ يُمكننا أن نحكي عن الموت مثلاً كما فعلتُ في روايتي «لا شيء أسود بالكامل» مُعتمدين طريقةً مُغايرة لا تكون وسائل التواصل الاجتماعي ولا الذكاء الاصطناعي مثلاً جزءاً أساسياً منها. كما أنّ الأمر باعتقادي لا يقتصر على شكل الكتابة ولا على اعتماد الحبكة التقليدية من عدمه. يُمكن لكاتب مُتمكّن أن يعتمد شكل الكتابة التقليديّ، ويُقدّمَ في الوقت نفسه زاوية نظر جديدة، وهذا في نظري كتابة جديدة. ما يفعله الكثير من الكتّاب ويُبعدهم عن الكتابة الجديدة هو استظهار معلوماتهم العامة أو قراءاتهم وإضافتها إلى السرد، أو مُعالجة المواضيع نفسها من دون تقديم جديد. يُمكن للمواضيع الجديدة أن تُشكّل جزءاً من الكتابة الجديدة أيضاً، لكنني لا أعتقد أنه يكفي أن نتناول موضوع التحوُّل الجنسي مثلاً ليُشكّل عملُنا كتابةً جديدة.

بطاقة

كاتبة لبنانيّة من مواليد عام 1982، مقيمة في كندا. حائزة دكتوراه في إدارة الأعمال من «جامعة غرونوبل» في فرنسا. تعمل في مجال النشر، حيث تولّت إصدار وتوزيع مؤلّفاتٍ لكتّابٍ عالميين. لها العديد من المقالات الأدبية والاجتماعية في مواقع وصحف عربيّة. «لا شيء أسود بالكامل» هي روايتها الأولى الصادرة حديثاً عن «دار نوفل».

■ هل تشعرين نفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

أكثر ما يجمعني مع أترابي من الكتّاب هو افتقادُنا إلى منظومة مُتكاملة تُريحنا من الجهود الفردية التي نضطرّ إلى المبادرة بها. صديقي الكاتب يُحضّر أغلفةً بديلة وتصميماتٍ يعمل عليها هو ليعرّف بكتابه. صديقتي الكاتبة تضطرّ إلى متابعة كلّ الكُتّاب والكتابة لهم وعنهم كي تتمكّن من إيجاد مكان لها في الساحة الأدبية العربية. لستُ ضدّ الجهود الفردية بمنطقها الواسع لكنّني ضدّ أن تتحوّل الساحة إلى «ساحة علاقاتٍ عامة» أكثر منها ساحةً أدبية وضدّ أن يُشغل الكاتب عن إبداعه لاضطراره إلى التسويق لأعماله مثلاً. في النهاية الكتابة الجيّدة تجد طريقها لكن الأمر ليس بهذه السهولة.

أمّا من الناحية الأدبية البحتة، فلا أعتقد أنني أنتمي إلى جيلٍ أدبي مُحدّد. أنتمي بطبيعة الحال إلى جيلٍ عُمريّ هو جيل ما بعد الحرب الأهليّة اللبنانية، جيل الحرّية والانفتاح اللذين اكتشفنا زيفهما، أو على الأقلّ كمّ المُغالطات الكبيرة حولهما. جيل اعتقَدَ في أوّل شبابه أنّ معاناة المرأة هي أمرٌ مرّ عليه الزمن لنكتشف من ثمّ أننا مُضطرّات إلى المواجهة مرّاتٍ ومرّات، أو أن الطائفية مفهومٌ لن يتمكّن منّا لنكتشف أيضاً أنّ تفكير الأجيال السابقة، بغالبيتها طبعاً ودون تعميمٍ أعمى، طغى وانتصر على أحلامنا بل تمدّد إلى العالَم بأسره.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

في بداية العمل على رسالة الدكتوراه، يخبرك الأكاديميّون عن «حائط المعرفة»، وينبّهونك إلى أنك لا تستطيع أن تنسف الحائط، بل عليك أن تضع حجارتك فوقه، طوبةً طوبة. هذا على المستوى العِلمي طبعاً، لكنّ حائط المعرفة فكرةٌ يُمكن تطبيقها على شتّى المجالات، وإن لم نأخذها دائماً بحرفيّتها، والمعرفة تأتي عبر الأجيال السابقة، أدبياً وحياتياً وسياسياً إلخ. على المستوى الشخصي، يُمتعني إيجاد طريقتي الخاصة للإضافة إلى «الحوائط» التي أهتمُّ بها: لا أسعى إلى نسفها أبداً، بل أستفيد من صلابتها أو أبحث في أسباب تراخيها، وقد أضيف «طوبتي» دون أن أفكّر كثيراً بالمكان المناسب لها، لكنّها تأخذ مكانها دائماً. في الكتابة، استفدتُ كثيراً من القراءات التي استمتعتُ بها، وأدين للأجيال السابقة بمتعةٍ هائلةٍ وبمعرفةٍ لم أكُن لأحلُم بها لولا كتاباتُهم. وفي الحياة، جلّ ما يعيشه كلٌّ منّا اليوم هو نتيجة حتمية لما فعلته الأجيال السابقة، وهنا مجالٌ واسعٌ للكثير من الحبّ أحياناً، والكثير من الغضب أحياناً أُخرى، والكثير من التفكير والنقاش والتغيير دائماً.

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟

كتابي الأدبي الأول صدر للتوّ. ولي مساهمةٌ في كتاب أكاديمي صدر بالإنكليزية في نيويورك عام 2017، تحت عنوان «لبنان: قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية». كنتُ أكتب منذ صِغري، لكنّني لم أجمع كتاباتي يوماً. كان الهدف الدائم هو التفريغ، تفريغ الشحنة العاطفية تحديداً، وغالباً ما كان يأتي هذا عن طريق قصائد أو مقاطع شعرية قصيرة. ثم عملت في النشر فصارت فكرة نشر كتاب لي مهيبة. كيف أنشر عملاً أوقّعه باسمي إذا لم أكن متأكّدة بنسبة ألف بالمئة من أنه سيقدّم إضافةً ما؟ تناسيتُ موضوع النشر لفترة وأجّلته لأسبابٍ عديدة أُخرى، لكن ذلك لا يعني أنني لم أكتب، فحين يكون هناك عملٌ بداخلك سيجد طريقَه ليخرج. وهكذا بعد تأجيل طويل، اتصلتُ بمديرة النشر في «دار هاشيت أنطوان/ نوفل»، وكانت المرّة الأولى التي نتحدّث فيها هاتفياً وسألتُها إن كان بإمكانها إعطائي رأيها بروايتي الأولى. أردتُ ألّا تكون لصداقاتي في مجال النشر أيّ علاقةٍ أو تأثيرٍ على نشر كتابي الأول، وانتظرتُ أن تتمكّن من القراءة لإعلامي برأيها المهني. وبالفعل، بعد أشهرٍ قليلة وبعد انتهاء زحمة «معرض الكتاب» في بيروت، وقّعت عقد النشر مع الدار، واليوم أصبحت الرواية في الأسواق، وقد صدرت ضمن مجموعةٍ جديدةٍ أطلقتها الدار بتسمية «النوفيلا».

■ أين تنشرين؟

نشرت مقالاتي في «صحيفة المدن الإلكترونية»، و«رصيف 22»، و«النهار العربي»، كما أنشر أيضاً على مدوّنتي الإلكترونية azzatawil.com

■ كيف تقرئين وكيف تصفين علاقتك مع القراءة: منهجية، مخططة، عفوية، عشوائية؟

حين تركتُ لبنان إثر انفجار «مرفأ بيروت» في الرابع من آب/ أغسطس 2020، وبعد عام تقريباً، تركتُ أيضاً عملي كمديرة عامّة لـ«شركة المطبوعات للتوزيع والنشر» المُختصّة بما يُسمّى الكتب التجارية، أي الكتب التي تُباع في المكتبات. وأكثر ما أفرحني وقتها رغم الانفصال عن بلدي وأهلي والتغيُّرات الكثيرة التي طرأت على حياتي هو استعادتي لقدرتي على القراءة للمتعة فقط. كنتُ قد قضيتُ عقدين من الزمن تقريباً أقرأ يومياً، لكنني لم أتمكّن سوى مراتٍ قليلةٍ من القراءة دون التفكير في عملي كناشرة، فكلّ قراءةٍ كانت في نظري مشروع نشر، وساعات الشغل كانت محفوفةً بالكتب. ثم انتقلت إلى مرحلة القراءة من أجلي أنا وحدي، واسترجعتُ عفويتي التامّة بعد انقطاع. اليوم، أشعرُ بأن كلّاً من عفويّتي وعشوائيتي تحت التهديد من جديد، ذلك أنني أودّ قراءة أعمال الكثير من الأصدقاء الكُتّاب، كما أودُّ اكتشاف كُتّاب جدد من كافة أنحاء العالم، وقراءة كتب لم تتسنَّ لي قراءتُها بعد، لكن النهار محدودٌ بأربع وعشرين ساعة يتخلّلها عملٌ ومسؤولياتٌ وكتابةٌ ونومٌ وحياة، وهذا يشعرني بضغطٍ أخاف أن يخطف مني قدرتي على الاستمتاع.

■ هل تقرئين بلغة أخرى إلى جانب العربية؟

نعم أقرأ كثيراً بالإنكليزية وبالفرنسية إضافةً إلى العربية، وأحاول دائماً قراءة العمل بلُغته الأساسية إن كنت أجيدها.

■ كيف تنظرين إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تُتَرْجَم أعمالُكِ؟

طبعاً لديّ رغبة في أن تترجَم أعمالي وأعمل على ذلك بالفعل. بدأتُ بترجمة «لا شيء أسود بالكامل» إلى الإنكليزية. أُدرك تماماً أنّ ثمّة نصوصاً تحتاج إلى حساسية عالية لنقلها إلى العربية والمترجمون أصحاب هذه الحساسية ليسوا كُثُراً كما للمرء أن يتمنّى. في رأيي، الترجمة ضرورةٌ للكاتب بشكلٍ عام وإقامتي في كندا تدفعني أكثر إلى الاهتمام بموضوع الترجمة.

■ ماذا تكتبين الآن وما هو إصدارك القادم؟

لا أعرف بعد ما هو إصداري القادم، لكنّني مُتأكّدة من أنه سيكون رواية بدأت فكرتُها تتكوّن في ذهني، علماً أنني لا أتوقّع أن أتمّ الكتابة في وقتٍ قريب.

عزّة طويل

فعاليات

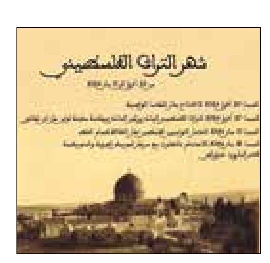

شهر التراث الفلسطيني، عنوان تظاهرة تنظّمها «جمعية المعالم والمواقع» بالتعاون مع عدد من المؤسّسات الثقافية في عدد من الفضاءات الثقافية بتونس العاصمة، وتتضمّن فعاليات تضيء على تراث فلسطين الثقافي. تنطلق التظاهرة السبت المقبل في «دار الكتب الوطنية» وتستمرّ حتى 11 أيار/ مايو المُقبل.

بين 20 و25 نيسان/ إبريل الجاري، تُقام فعاليات الدورة الثامنة من «مهرجان أسوان الدولي لأفلام المرأة» في المدينة المصرية، بمشاركة 76 فيلماً؛ من بينها ستّة أفلام عن المرأة الفلسطينية. تحتضن الدورة، أيضاً، ندوة بعنوان **أفلام فلسطينية من مسافة صفر**، تُحاور فيها الكاتبة والمنتجة **ليال بدر** المُخرج **رشيد مشهراوي** عن مبادرته لإنتاج أفلام قصيرة من غزّة خلال العدوان.

بعنوان **تراث غزّة الثقافي وحرب الإبادة**، تُنظّم «دارة الفنون» في عمّان، عند السادسة والنصف من مساء 23 الشهر الجاري، لقاءً عبر «زوم» مع الباحثة **مزنة القطو**. يتناول اللقاء تقريراً لشبكة «أمناء مكتبات ومؤرشفون مع فلسطين» حول المكتبات العامّة والأرشيفات والمتاحف التي استهدفها العدوان على غزّة.

ينظّم «مدى الكرمل»، عند السابعة والنصف من مساء الثالث والعشرين من الجاري، ندوة افتراضية بعنوان **الأكاديميا في ظلّ الإبادة**، يتناول فيها الأكاديميون سونيا بولس، وأسامة مقدسي، وأليكس لوبين، ماندي تورنر، دور الأكاديميّين والمثقّفين في إدانة القمع الإسرائيلي للحرّية الأكاديمية الخاصّة بالفلسطينيّين.